﴿*وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: 31]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من كمالِ عدْلِ اللهِ ورحمتِه اقترانُ زيادةِ الثّوابِ بزيادةِ العقاب

أعقَبَ البيانُ الحكيمُ الوَعيدَ في قوله: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30] بالوَعْدِ بقوله: ﴿*وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾؛ جريًا على سُنَّةِ القُرآنِ[1]، فبَيَّن زيادةَ ثوابِ زَوجاتِ النَّبيِّ ﷺ، كما بيَّن زيادةَ عِقابِهنَّ[2].

التّحليةُ بعدَ التّخليةِ والتّرغيبُ بعدَ التّرهيبِ

لمّا قدَّم البيانُ القرآنيُّ درْءَ المفاسدِ الذي هو من بابِ التّخلّي؛ أتبعَهُ جلبَ المصالحِ الذي هو من طرازِ التّحلّي فقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَقْنُتْ﴾: أصلُ (قنت) يَدُلُّ على طاعَةٍ وخَيْرٍ في دينٍ، والأصْلُ فيهِ الطّاعَةُ، ثُمَّ سُمّيَ كُلُّ اسْتِقامَةٍ في طَريقِ الدّينِ قُنوتًا، وقيلَ لِطولِ القيامِ في الصَّلاةِ، والسُّكوتِ فيها، والإقْبالِ عَلَيْها: قُنوتٌ[4]، والقُنوتُ: الخشوعُ، والإقرارُ بالعبوديّة، والدّعاء، والقيامُ بالطّاعةِ التي ليس معها معصية[5]، ومعنى ﴿يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾: تُطِعِ اللّهَ ورسوله منكنّ، وتعملْ بما أمرَ اللّهُ به[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 5.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 166.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 341.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قنت).
(5) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قنت).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 256.

2) ﴿صَٰلِحَا﴾: أصلُ (صلح) يَدُلُّ عَلَى خِلافِ الفَسادِ[1]، وقد أَصْلَحَ الشَّيْءَ بعدَ فَسادِه: أقامَه، ومن المجاز: أَصْلَحَ إليه: أحْسَن، والصالحُ: الَّذي يُؤَدّي إلَى اللّه ﷻ ما افْترضَ عليه، ويُؤَدّي إلَى النّاس حُقوقهم، والمُصْلِحُ: المُقيمُ على الإيْمان المُؤَدّي فَرائِضَه اعتقادًا وعَملًا[2]، وأَصْلَحَ: أتى بالصّلاحِ، وهو الخيرُ والصّواب، ومن الصّلاحِ: السّلامةُ من الخطايا المعوقة، والعملُ الصّالح هو الذي يتّفقُ ويلتئمُ مع ما يطلبهُ الشّرع أو يرضاه[3]، ومعنى ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحَا﴾ في الآية: تعملْ بالطّاعات فيما بينها وبين ربّها، كالصّلاة والصّيام[4].

3) ﴿رِزْقًا﴾: أصلُ (رزق) يَدُلُّ على عَطاءٍ لِوَقْتٍ، ثُمَّ يُحمَلُ عليهِ غَيرُ المَوْقوتِ، فالرِّزْقُ: عَطاءُ اللّه جَلَّ ثَناؤُهُ[5]، والرّزقُ: كُلُّ ما يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ مالٍ ونَحْوِهِ، والجَمْعُ: أرْزاقٌ[6]، والرَّزْقَةُ: المرّةُ الواحدةُ[7]، والرَّزْقُ بِفَتْحِ الرّاءِ: العَطاءُ الدّائِمُ، يُقالُ: رَزَقَ يَرْزُقُ رَزْقًا، أيْ: أعْطَى ووَهَبَ، والرّازِقُ: المُعْطي وهوَ اللّهُ[8]، وكُلُّ ما يَصِلُ إلَى الجَوْفِ ويُتَغَذَّى بِهِ فَهوَ رِزْقٌ، ومِنْ مَعاني الرِّزْقِ أيْضًا: الكَسْبُ، والهِبَةُ، والصَّدَقَةُ[9]، والمقصودُ بالرِّزق الكريم في الآية: رِزْقُ الجَنَّةِ والعيشُ الهنيءُ فيها[10].

المَعْنى الإجْماليُّ:

إظهارُ شرفِ أمّهاتِ المؤمنين ومرتبتهنَّ في القنوتِ والعملِ الصّالح

يتابعُ اللّهُ سبحانه ذِكْرَ بعض التَّوجيهاتِ الحكيمةِ الَّتي وجَّهها

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلح).
(2) ابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (صلح).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (صلح).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 256، وأبو حيان، البحر المحيط: 3/ 59.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رزق).
(6) ابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح: (رزق).
(7) ابن عباد، المحيط في اللغة: (رزق).
(8) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رزق).
(9) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رزق).
(10) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 256، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.

إلى أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، فيقولُ: مَن تُداوِمْ منكُنَّ على طاعةِ اللهِ ورَسولِه، وتجتلبْ رضاهما، وتعمَلْ صالِحًا؛ نُؤتِها ثوابَها في الآخِرةِ مَرَّتينِ، وأعدَدْنا لها رِزقًا حَسَنًا جَميلًا، وعَيشًا في الجَنَّةِ هَنيئًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾:

القلب الغليظ منبع الإتيان بالفواحش المُجاهر بها

(الواو) في مطلع الآية عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملة: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30]، وقد وُصِلتا؛ لاتّفاقهما في الشّرطية، ولوجودِ نوع من المقابلةِ الخفيّة بين قوله: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وقوله: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الأحزاب: 30]؛ لأنّ الإتيانَ بالفاحشة المبيّنة الظاهرة في جهارة وتبجّحٍ لا يكون إلا من قلبٍ غليظٍ جافٍّ خالٍ من معاني الخضوعِ والخشيةِ والقنوت[2]، ويَحْتَمِلُ أنْ تكونَ استئنافيّةً، والجملة بعدها مستأنَفَةٌ[3].

دلالة (مَنْ) الشرطيّة:

الـدّوامُ على الطّاعة شرطٌ في الاختصاص بالأجرِ العظيم والرِّزق الكريم

(مَنْ): اسمُ شرطٍ جازم في محلّ رفعٍ مبتدأ، والجملةُ من فعلِ الشّرط وجوابه في محلّ رفع خبر، ويفيد الشّرط أنَّ دوامَ نساء النبيّ على طاعة الله ورسوله شرطٌ في اختصاصهنّ بالأجرِ العظيم والرِّزق الكريم.

سرّ التعبير بالمضارع المجزوم ﴿يَقْنُتْ﴾:

المطلوبُ ممّن أعلى اللهُ قدْرَهنّ الدّوامُ والاستمرارُ على الطّاعة

القنوتُ هو لزومُ الطّاعة مع الخُضوع[4]، وقد عبّر البيانُ القرآنيُّ عنه بصيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 256.
(2) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 270.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 157.
(4) الراغب، المفردات: (قنت).

وَرَسُولِهِۦ﴾؛ للدّلالة على المبالغةِ في الدّوام على الطّاعة لله ورسوله، أي: من يدمْ على الطّاعة منكنّ؛ لأنّهنّ قانتاتٌ مطيعاتٌ بالفعْل فوجبَ المصير إلَى المَجاز بأنْ يكون المَعْنَى من يدمْ عَلَى الطّاعة لا مَنْ يُحدثِ القنوتَ والطّاعة[1]، إذن التعبيرُ بالمضارع يدلّ على أنّ دوامَ نساءِ النبيّ على الطّاعة لله ورسوله شرطٌ في اختصاصهنّ بالأجرِ العظيم، والرّزقِ الكريم.

فائدة التعبير بشبه الجملة ﴿مِنكُنَّ﴾:

ترهيبٌ لنساءِ النبيّ ﷺ في ترغيب

(مِنْ) في قوله تعالى: ﴿مِنكُنَّ﴾ حرفُ جرٍّ صالحٌ مع البيانِ للتّبعيض؛ ترهيبًا لنساءِ النبيّ ﷺ في ترغيبٍ، فلمّا حقّقَ أمّهاتُ المؤمنين ما أمرهنّ به اللّهُ من القنوتِ لله ورسوله والعمل الصالح؛ أصبحَ معنى (مِنْ) للبيان[2].

دلالة تقديم ﴿مِنكُنَّ﴾:

اختصاصُ لنساءِ النبيّ ﷺ بالأجرِ المضاعفِ واهتمامٌ بهنّ

﴿مِنكُنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حالٌ من فاعل ﴿يَقْنُتْ﴾ و﴿لِلَّهِ﴾ متعلّقٌ بـ﴿يَقْنُتْ﴾[3]، وقد قدّمَ البيانُ الحكيمُ الجارَّ والمجرورَ ﴿مِنكُنَّ﴾ على قوله ﴿لِلَّهِ﴾؛ لإفادةِ الاختصاص، أي هذا لَكُنّ خاصّةً دون غيركنّ، وكذلك للاهتمام بهنّ ﷺ.

السرّ وراء تَكْرار ﴿مِنكُنَّ﴾:

تأكيدٌ على الاهتمام بشأنّ نساءِ النبيّ ﷺ واختصاصهنّ

كرّر البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿مِنكُنَّ﴾ ثلاث مرات؛ هنا ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وفي قوله: ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: 29]، وقوله: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾ [الأحزاب: 30]؛ وفي هذا التّكرار تأكيدُ الاهتمام بشَأْنِ نساءِ النبيّ ﷺ، واختصاصهنّ بهذه الأحكام، فهنّ لسنَ كأَحدٍ من النّساء.

(1) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 349.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 338.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 42.

معنى اللام في ﴿لِلَّهِ﴾:

خلوصُ الطّاعة لله ورسوله سببٌ للأجرِ العظيم والرّزقِ الكريم

لامُ ﴿لِلَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾ لامُ التّوكيد والاختصاص، والمعنى: ومن تُخلصِ الطّاعةَ لله الذي هو أهلٌ لها؛ لئلا يُلتفتُ إلى غيره؛ لأنَّه لا أعظمَ منه بإدامةِ الطّاعة، فلا تخرجُ عن مراقبته أصلًا، وتُخلِصُ الطّاعة لرسوله فلا تغاضبه، ولا تختارُ عَيْشًا غيرَ عيشِه[1].

نكتة التّصريح باسم الله الأعظم:

كونُ القنوتِ لصاحبِ الجلال والجمال والكمال هو دعوةٌ للدّوام عليه

صرّحَ البيانُ الحكيم باسم الله الجليل (الله) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ولم يُضمره، على الرَّغْم من أنّه ذُكر في الآية السّابقة، فلم يقلْ: (له ورسوله)؛ ليُلقيَ على هذا القنوتِ المقيَّدِ بالجارِّ والمجرور ﴿لِلَّهِ﴾ فَيْضًا من نورِ الجلالِ والجمالِ والكمال والحبّ والميلِ المنسابِ من الاسم الجليل الدالّ على كمالِ الصفات، بما يدعو إلى هذا الدّوام على هذا القنوت[2].

دلالة العطف بالواو في ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾:

طاعةُ الرسولِ ﷺ غيرُ منفكّةٍ عن طاعةِ الله

عطفَ البيانُ القرآنيُّ لفظ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ على لفظِ ﴿لِلَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في سياق الخشوعِ والطّاعة لهما؛ تعظيمًا للرّسول ﷺ وتقديرًا له، ورفعًا لمنزلته، بالإشارَة إلَى مقامه عند ربّه[3]، بأنّ طاعته غيرُ منفكَّةٍ عن طاعةِ الله تَعالَى، أو هي عينُ طاعةِ الله تَعالَى، قال تَعالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80][4]، وأنّ خشيته جزءٌ من خشيةِ الله تعالى[5].

إيثار لفظ الرسول دون النبيّ:

رسولُ اللهِ مبلّغٌ عن ربّه وطاعتُه طاعةٌ لله

التّعبيرُ بلفظِ (رسول) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 341.
(2) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 270.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 704.
(4) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 349.
(5) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 270.

﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ تشجيعٌ لنساء النبيّ ﷺ على طاعته؛ إذ إنّه رسولٌ يبلّغُ عن الله ما أمره به لا مِن عند نفسه، ولأنّ الوصفَ بالرّسالة يغني عن بقيّةِ الأوصاف في مقامِ الاعتقاد - كوصف (النبيّ) -، دون قيام غيره عنه، ولكون لفظِ الرّسول أنسبَ لسياق الطّاعة والعبادة والعمل الصالح؛ وفاقًا لشريعةٍ قد أتى بها من عند الله، وقد أُمرَ بتبليغها؛ لأنّ الإنباءَ عن الشَّيْءِ قد يكون من غيرِ تحميلِ النّبأ، وأمّا الإرسالُ فلا يكون إلا بتحميلِ رسالة[1].

نكتة إضافة الرسول إلى الله تعالى:

تشريفُ الرسولِ ترغيبٌ بطاعته وطلبِ مرضاته

إضافةُ لفظ الرّسول للضمير العائد لله تعالى في قوله سبحانه: ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إضافةُ تشريفٍ لرسولِ الله ﷺ، وبيانٍ لمنزلته، وفي هذا ترغيبٌ بطاعته وطلبِ مرضاته ﷺ.

دلالة العطف بالواو في ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾:

جمعٌ بين ولاءِ القلبِ وخشوعِه وترجمةٌ عمليّةٌ لطاعته وخضوعه

عَطْفُ جملة ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ على ﴿يَقْنُتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ عطْفُ تفسيرٍ، أو أنّ الجامعَ بينهما ارتباطهما بـ(مَنْ) الشّرطيّة بكونهما فعلي الشّرط في الجملة الشّرطيّة، وينبني عليهما جزاءٌ واحد، وهو استحقاقُ الثّواب العظيم؛ مضاعفةِ الأجر والثّواب مرّتين، والرِّزْقِ الكريمِ الذي لا عيبَ فيه ولا نقصَ ولا منّةَ لأحد، مع اختلافهما في التّذكير والتّأنيث؛ مراعاةً للفظ (مَنْ) ومعناها[2]، والمُرادُ بالأوّل الخضوعُ والطّاعةُ له ﷻ بتركهنّ زينةَ الدُّنيا، واختيارِ الدّار الآخرة[3]، وبالثاني عملُ الصّالحات التي هي ترجمةٌ عمليّةٌ للطّاعةِ والخضوعِ، فالقنوتُ - وهو الولاء والخشوع - من عملِ القلب، ولكي

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 530 - 532.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 474.
(3) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 349 - 350.

يكون لهذا القنوتِ أثرٌ، ينبغي أنْ يخرجَ إلى مجالِ العمل، فالعملُ هو المحكّ الذي يظهرُ عليه ما في القلب من مشاعر ومعتقدات[1].

سرّ إيثار لفظ العمل:

مقامُ نساءِ النّبيّ ﷺ يستدعي العملَ الأشملَ والأكملَ

آثرَ البيانُ الحكيم التّعبيرَ بلفظِ (العمل) دون (الفعل) فقال: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؛ لكونِ العملِ أوسعَ دلالةً؛ فهو يشملُ كلّ ما يصدرُ من أمّهات المؤمنين: من قولٍ وهو عملُ اللسان، وفعلٍ وهو عملُ الجوارح، ونيّةٍ وهو عملُ القلب، ومِنْ ثمَّ فهو أنسبُ لرفعةِ مقامِ نساء النبيّ ﷺ الذي يستدعي كثرةَ الأعمالِ وصِدْقَها منهنّ، وأنْ يكونَ عملُهنّ عن قَصْدٍ ورويّةٍ وعقلٍ وتفكيرٍ واستمرارٍ وطولِ زمانٍ، وهذه المعاني يدلُّ عليها معنى العمل في اللغة[2].

سرّ التّعبير بالمضارع المجزوم ﴿وَتَعْمَلْ﴾:

الاستمرارُ على العملِ الصّالح مطلوبٌ لاستحقاقِ مضاعفة الثّواب

عبّر البيانُ القرآنيُّ بصيغة المضارع الذي يفيدُ الاستمرارَ والتّجدد في قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ لإفادةِ دوامِ العملِ الصالح من قِبل نساءِ النبيّ ﷺ شرطًا لاستحقاقِ مضاعفةِ الأجرِ والرّزق الكريم[3].

توجيه القراءات في ﴿وَتَعْمَلْ﴾:

عدمُ اقتصارِ نساءِ النبيّ على طاعةِ القلوب والرّفق بهنّ في عملِ الجوارح

في قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ قراءتان؛ إذ قرأ الجمهور: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء الفوقيّة على اعتبار معنى (مَنْ) الموصولة المراد بها إحدى النّساء، وحَسَّنَهُ أنّه معطوفٌ على فعل ﴿يَقْنُتْ﴾ بعد أنْ تعلّقَ به الضمير المجرور، وهو ضميرُ نسوةٍ ﴿مِنكُنَّ﴾، وقرأ حمزة والكِسائيُّ وخَلَفٌ ﴿وَيَعْمَلْ﴾ بالتحتيّة مراعاةً لمدلول (مَنْ) في أصلِ الوضع[4]، وهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب[5].

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 11/ 704.
(2) الكفوي، الكليات، ص: 666، والزبيدي، تاج العروس: (فعل).
(3) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص: 1497.
(4) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص: 1497، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 257، وابن الجزري، النشر: 2/ 348.

ويرى الإمام البِقاعيُّ أنّ القنوتَ من عمل القلب، ولمّا كان قد يُفهم من قوله ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾ الاقتصارُ على عملِ القلب؛ عبّر القرآن بقوله ﴿وَيَعْمَلْ﴾ التي روعي فيها لفظ (مَن) فجاءتْ على التّذكير؛ حَثًّا لهنَّ على منازلِ الرجال، وألا تقتصرَ طاعتهنّ على ما يتعلّق بالقلوب؛ إذ لفظُ العمل يدلُّ على عملِ الجوارح، وبالمقابل فإنّ التعبيرَ بقراءة ﴿وَتَعْمَلْ﴾ – التي روعي فيها معنى (مَن) فجاءتْ على التأنيث – تشيرُ إلى الرّفق بهنّ في عمل الجوارح والرضى بالمستطاع، كما قال ﷺ: «إذا أمرتُكم بأمرٍ فأْتوا منه ما استطعتم»[1]، وأمّا عملُ القلب فلا رضى فيه بدون الغاية، فلذا كان ﴿يَقْنُتْ﴾ مذكّرًا، أي نُظر فيه إلى لفظ (مَنْ)[2].

دلالة تنكير لفظ ﴿صَٰلِحًا﴾:

بيانٌ لعموم العملِ الصالح وتفخيمٌ له وإعلاءٌ لشأنِه ومكانِه

التقدير في قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: وتعملْ عملًا صالحًا، ومن ثَمّ فإنّ تنكيرَ لفظ ﴿صَٰلِحًا﴾؛ لإفادةِ العموم، أي: تعملْ الأعمالَ الصالحة قليلةً أو كثيرة[3]، وفي جميعِ ما أمرَ به سبحانه أو نهى عنه[4]، من الفروضِ والنّوافلِ والذّكر وغيرها من الأعمال الصّالحة[5]، كما أنّ في تنكيرِ صلاح العملِ تَفْخيمًا للعملِ الصالح وإعْلاءً لشأنه ومكانه.

سر التّعبير بفعل الإيتاء مضارعًا:

عمومٌ في المؤتَى وقوّةٌ وثباتٌ وقرارٌ فيه

عبّرَ البيانُ القرآنيُّ بالإيتاء دون الإعطاء في قوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾؛ لكونه أنسبَ للسّياق والمقام: أمّا السياقُ فهو سياقُ تفضّلٍ وتكريمٍ لأمّهات المؤمنين؛ فالإيتاءُ أعمُّ من الإعطاء؛ إذ يكونُ في الأشياءِ الماديّة والمعنويّة، في حين أنّ الإعطاءَ يكونُ في الأشياءِ

(1) البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: (7288).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 342.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 663.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 342.
(5) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 22/ 1.

المادّيّة؛ إذ أصلهُ التناول، وكذلك الإيتاءُ أنسبُ للمقام؛ فالمؤتي هو اللّهُ سبحانه، وإخباره مُسنِدًا فعلَ الإيتاء إلى ضمير العظمة بأنّه يؤتي نساءَ النبي ﷺ الأجرَ؛ فيه قوّة ووجوبٌ ولا يتوقّف على قبولٍ منهنّ، وهذا يناسبه لفظُ الإيتاء، بخلافِ الإعطاء؛ لأنّ الإعطاءَ له مطاوعٌ، يُقال: أعطاني فعَطَوتُ، ولا يُقال: أتاني فأتيتُ، ممّا يجعل فعلَ الإيتاء أقوى[1]، لذلك استعملَ القرآنُ الإيتاءَ دون الإعطاءِ للأشياءِ العظيمة التي فيها ثباتٌ وقرارٌ، كالحكمة والسبع المثاني[2]، وهذا فيه إشارةٌ إلى أنّ هذا الأجرَ الذي آتاهم اللّهُ إياه ثابتٌ مستقرٌّ لهنّ تفضّلًا من الله سبحانه.

وفي صيغةِ المضارعِ دلالة على التجدّد والاستمرار في إيتاءِ الله الأجرَ مرّتين لأمّهات المؤمنين، بما يدلّ على عظيمِ مكانتهنّ عند اللّه سبحانه، وعلى عظيمِ هذا الأجر الذي لا ينقطع.

توجيه القراءات في ﴿نُّؤْتِهَآ﴾:

في قوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا﴾ قراءتان؛ إذ قرأ الجمهور ﴿نُّؤْتِهَآ﴾ بنون العظمة، وقرأ حمزة والكِسائي وخَلَف بالتّحتيّة ﴿يُؤْتِهَآ﴾ على اعتبارِ ضمير الغائب عائدًا إلى اسم الجلالة من قوله قَبْلَهُ، ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [الأحزاب: 30][3]، وفي كلا القراءتين انتقالٌ من المبني للمفعول في قوله: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: 30] – الذي يدلُّ على البعدِ والخِزْيِ المفهوم – إلى المبني للفاعل ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أو ﴿يُؤْتِهَآ﴾؛ المؤذنِ بالقرب والكرامة، وفي هذا تفنّنٌ في الأداء.

الايتاء إيذانٌ بالقربِ والكرامةِ لنساءِ النبيّ ﷺ

دلالةُ عَوْدِ الضَّميرِ في ﴿نُّؤْتِهَآ﴾:

أُسنِدَ فعلُ إيتاءِ أجرِهنَّ في قوله تعالى: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ إلى ضَميرِ الجلالةِ بوَجهٍ صَريحٍ؛ تَشريفًا لإيتائِهنَّ الأجْرَ؛ لأنَّه

عظمةُ المُؤتي تُؤذِنُ بكمالِ رحمته وعظيم كرمه فإتيانهُ جذلٌ وعطاؤه وفْرٌ

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.
(2) الزبيدي، تاج العروس: (أتى)، والكفوي، الكليات، ص: 212.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/ 348، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.

المأمولُ بهنَّ، ويُلحظ هنا أنّ في إيتاء الأجر ذَكَرَ المؤتي وهو الله، وعنْدَ العذابِ لمْ يُصرِّح بالمعَذِّبِ فقال: ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ [الأحزاب: 30]، "وكأنّ الحقَّ سبحانه لم يُرِدْ أنْ يواجهَ بذاته في مقامِ العذاب، إنّما واجه بالعذاب فقط"[1]؛ إشارةً إلى عظيم هذا الأجر، أي: نؤتها أجرها بما لنا من العظمة[2]، وإشارةً إلى كمالِ الرَّحمةِ والكرم، فهو إتيانٌ جزلٌ وعطاءٌ وفْرٌ، كما أنّ الكريم الحيّ عند النّفع يظهرُ نفسه وفعله، وعند الضرّ لا يذكر نفسه[3]، فَضْلًا عن أنّ عدم التّصريح باسم الفاعل في ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ [الأحزاب: 30] يدلُّ على العناية بالتّهويل بالعذاب بجعله عُمدةَ الكلام، وللإيماءِ بأنّ هذا العذاب يسقطُ على النّفس من حيث لا تدري، وكأنّها تُرجَم من وراء الغيب، وفيه كذلك لطفٌ من الله رجاءَ أنْ يعودَ العاصي إلى ربّه، وأنّه سبحانه يفرحُ بتوبةِ عبده المؤمن أكثرَ من فرحِ أحدكم حين يجدُ راحلته وقد ضلّتْ منه في فلاة[4].

نكتة التّعبير بلفظ الأجر:

أجـرٌ مـستحقٌّ لأمّهات المؤمنين عـلى طـيـبِ ما قدّمنَ من الخير

استعملَ البيانُ القرآنيُّ لفظ الأجر في قوله تعالى: ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾، دون غيره من الألفاظ كالثواب؛ للإشارة إلى الإعزاز والتّكريم، وكأنّ ما يأخذنَ من هذا الوفر ليس عطاءً، وإنّما هو أجرٌ مستحقٌّ لهنّ على طيبِ ما قدّمنَ من الخير[5]، ولما فيه من معنى الجَبْر، فهو في أصله يدلُّ على معنيين: الكِراءُ عَلَى العَمَلِ، وجَبْرُ العَظْمِ الكَسيرِ[6]، وكذلك فإنّ استعمالَ الأجر يناسبُ لفظ العمل الذي ورد في السياق بقوله ﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾؛ لأنّ الأجرَ لا يكون إلا مقابلَ عملٍ سواءٌ دُنيويًّا أو أُخرويًّا[7].

(1) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12014.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 342.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 166.
(4) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12014.
(5) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 270.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أجر).
(7) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أجر).

علّة نسبة الأجر إلى الأزواج:

استحقاقُ أمّهات المؤمنين للأجرِ العظيم تَشريفٌ لهنّ وبيانٌ لكرامتهنّ

في إضافةِ الأجْرِ إلى الضَّميرِ العائد على نساءِ النبيّ ﷺ في قولِه: ﴿أَجْرَهَا﴾ إشارةٌ إلى تَعظيم ذلك الأجْرِ بأنَّه يُناسِبُ مَقامَ أمّهات المؤمنين، وإلى تَشريفِهنّ بأنَّهنّ مُستحِقّاتٌ ذلك الأجْر[1]، أي أجرها الذي يُضافُ إليها فهي تستحقّه؛ لكرامتها على اللّهِ بوجودها في بيتِ النّبوّة ومنزلِ الوحي ونور الحكمة وعين الهداية[2]، بخلاف العذاب فلم يقلْ: (يضاعف لها عذابها)، وفي هذا مراعاةٌ للجانب النّفسي لأمّهات المؤمنين، إذ أبعدهنَّ عن العذاب ولم يُضفه لهنّ، بخلاف الأجر فقد أضافة لهنّ.

دلالة عود الضمير في ﴿أَجْرَهَا﴾:

ضَميرُ ﴿أَجْرَهَا﴾ عائدٌ على (مَنْ) باعتبارِ أنَّها صادقةٌ على واحدةٍ مِن نِساءِ النَّبيِّ ﷺ[3].

سرّ إيثار لفظ المرّة في قوله: ﴿مَرَّتَيْنِ﴾:

تكرارُ العطايا فضلُ اللهِ تعالى وإحسانه اختصَّ به أهلَ ودِّه

معنى مرّتين في قوله تعالى: ﴿نُؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾، توفيرُ الأجر وتضعيفه[4]، أي يعطي الأجرَ الوفيرَ مرّةً، ثمّ يستأنفُ العطاءَ الوفير مرّةً أخرى، وهذا دلٌّ على التّكريم الجميل[5]، ومعنى مضاعفة الأجر: أنّه يكون ضعفَ أجرِ أمثالِ تلك الطّاعة إذا صدرتْ من غيرهنّ، وهو ضعفٌ في القوّة وفي المدّة[6]؛ لقدرهنّ، وهذه المضاعفةُ في الحالين من خصائصِ أزواج النبيّ ﷺ؛ لعظمِ قدرهنّ[7]، أي في لفظ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ احترازٌ من أنْ يُظنّ إذا قال (ضعفين) أنَّ المقصود

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 5.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 22/ 4.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 5.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 5.
(5) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 272.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 320.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.

هو المضاعفةُ في الأجر؛ فهي خصيصةٌ لكلّ المسلمين، كما قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: 261]، فجاءَ التّعبير بلفظ ﴿مَرَّتَيۡنِ﴾؛ ليزيلَ هذا الوهمَ عن الأذهان، وليكمّلَ المعنى، بأنّ هذه خصوصيةٌ لأمّهات المؤمنين، وأنّهنّ يأخذنَ مع الأمّة الضِّعْفَين ويأخذنَ المرّتين، وأمّا في العذاب فيُضاعَفُ لهنّ العذابُ ضعفين فقط.

رضى النبيّ وخدمته طاعةٌ خاصّة تستحقّ الأجر

وموجبُ المَرَّتَيْنِ هو: مرّةٌ على الطّاعة والتّقوى، أي: على العمل الصالح مُطْلَقًا كسائرِ المطيعين، ومرّةٌ أخرى على خدمةِ رسول الله ﷺ الخدمةَ الباطنيّة التي لا تتيسّر من غيرهنّ[1]، وعلى طلبهنّ رضى النَّبيّ ﷺ، وهذه طاعةٌ خاصّةٌ مَخْصوصةٌ بهنّ، ولذا اختصهنّ بالأجر مرّتين لامتيازهن بهذا الطلب الذي هو طاعةٌ مَخْصوصةٌ بهنّ[2].

كما أنّ في التعبير بالمرّتين دليلًا قويًّا على أنّ معنى ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: 30] أنّه يكون العذاب مرّتين لا ثلاثًا؛ لأنّ المرادَ إظهارُ شرفهنّ ومرتبتهنّ في الطّاعة والمعصية، تكون حسنتُهنّ كحسنتين، وسيِّئَتُهنّ كسيِّئتين، ولو كانت كثلاثِ سيّئات لم يناسبْ ذلك كون حسنتهنّ كحسنتين، فإنّ اللّهَ أعدلُ من أنْ يُضاعفَ العقوبةَ عليهنّ مضاعفةً تزيدُ على مضاعفة أجرهنّ[3].

دلالة العطف بالواو في ﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾:

ما أعدّه اللهُ من الرّزقِ الكريم لهنّ هو زيادةٌ على الأجرِ المضاعف

يدلُّ عطف جملة ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ على جملة ﴿نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ على الزيادةِ على أجرِها المضاعفِ[4]، وهو الرّزقُ

(1) حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، ص: 1497.
(2) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 350.
(3) صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 80.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 102، وصديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 80.

الكريم في الدنيا والآخرة، وفي مزيده توكيدٌ للاستحقاق، وبيانٌ لكبير الحظوة.

توجيه التّعبير بفعل الإعتاد دلالةً وصيغة:

الأجـرُ هُـيّـئ لأمّـهـات المؤمنين، وهو ينتظرهنّ، وفي ذلك مزيدُ إكرامٍ لهنّ

التاءُ في ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ بَدَلٌ عن أحدِ الدّالين من (أعدَّ) لقربِ مخرجيها وقصد التّخفيف[1]، وقد عبّر البيانُ القرآنيّ بلفظ الإعْتادِ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾، ولم يقلْ: (ولهنّ رزقٌ كريمٌ) وهو لا يُعجزه شيء، وإنّما أمْرُه أنْ يقولَ للشَّيءِ: كنْ فيكون؛ فالتعبيرُ بالإعْتادِ لإفادةِ العنايةِ بهذا الأجر، والتنويهِ به زيادةً على وصفه بالكريم[2]، وللدّلالة كذلك على مزيدِ الإكرام لأمّهات المؤمنين؛ إذ أُعدّ لهنّ من الآن، والمعنى: "وجهزّناه لها من الآن، فهو ينتظرها"[3]؛ لأنّ الإعْتادَ في اللغة: التهيئةُ من العتاد، وهو العدّة[4]، قال الراغب: "الإعتدادُ: ادِّخارُ الشيء قبل الحاجة إليه كالإعداد"[5].

وللسببِ ذاته وهو إكرامُ أمّهات المؤمنين عَدَلَ البيانُ القرآنيُّ في قولِه: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ عن التعبير بصيغة المُضارع إلى صيغة الماضي - رغم أنّ الأفعال التي سبقتْ ﴿يَقْنُتْ﴾ و﴿نُؤْتِهَآ﴾ هي بصيغة المضارع، ورغم أنّ الحديثَ عن يوم القيامة، ولم يأتِ بعدُ؛ لإفادةِ تَحقيقِ وُقوعِ ما أعدّهُ اللّهُ لأمّهاتِ المؤمنين من الرّزقِ الكريم[6]، أي هو نعيمٌ مقيمٌ في الآخرةِ قدْ تقرّرَ وأُعدَّ وانتهى.

دلالة ضمير التعظيم (نا):

تشـريـفٌ لأجـرِ أمّـهـاتِ المؤمنين يعدّه ذو الجلالِ والـكـبريـاء والعظمة

أسندَ البيانُ الإلهيُّ فعلَ الإعْتادِ إلى ضمير التّعظيم (نا) في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 317، 22/ 6.
(3) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12014.
(4) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 50.
(5) الراغب، المفردات: (عتد).
(6) حاشيتا القونوي وابن التمجيد على تفسير البيضاوي: 15/ 350، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 5.

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ تشريفًا للأجرِ الذي يعدّهُ ذو الجلالِ والكبرياء والعظمةِ والسلطانِ بذاته وبجلاله تكريمًا وتقديرًا لهنّ[1]، والمعنى: هيّأنا لهنّ رزقًا كريمًا بما لنا من العظمة[2]، كما أنّ الإسنادَ لذاته العَليَّةِ يفيدُ تحقّقَ الوقوع.

فائدة التعبير بشبه الجملة ﴿لَهَا﴾ مقدّمًا:

خُـصَّ أمّـهـاتُ المؤمنين بمزيدٍ مـن الـعـطـاء كرامةً لقدرهنّ

قدّمَ البيانُ القرآنيُّ الجارَّ والمجرور ﴿لَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾؛ للاختصاص، أي: خصّهنّ دون غيرهنّ زيادةً على أجرهنّ المضاعف برزقٍ كريمٍ عظيم لا يعلمُ مقداره إلا الله؛ لشرفهنَّ وعلوِّ منزلتهنَّ، فزيادةُ أجرِ الطّاعة تتبعُ زيادةَ فضلِ الآتي، بسببِ قناعتهنّ مع النّبي ﷺ، وتخلّيهنَّ عن الدنيا التي يبغضها الله[3].

سرّ تنكير ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾:

رزقٌ عظـيـمُ الـقـدرِ رفـيـعُ الـشـأنِ لا شيءَ أكرمُ منه

جاء الرّزق ووصفه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ نكرتين؛ لإطلاقِ الرّزق وتفخيمه وتعظيمه، وأنّه غيرُ محصورٍ ولا محدود؛ فهو رزقٌ يتضمّنُ كلّ المواهب المادّيّة والمعنويَّة، وهو عظيمُ القَدْرِ رفيعُ الشأن[4]، وكذلك للتّكثير، والمعنى: وهيّأنا لهنّ زيادةً على ذلك رِزْقًا كَريمًا لا يعلمُ مقداره إلا الله[5]، في الدنيا والآخرة، فلا شيءَ أكرمُ منه؛ لأنّ ما في الدّنيا منه يوفّقُ لصرفه على وجهٍ يكون فيه أعظمُ الثّواب، ولا يخشى من أجله نوعَ عتابٍ فضلًا عن عقاب، وما في الآخرة منه لا يوصفُ ولا يُحدّ، ولا نكَدَ فيه بوجهٍ أصلًا ولا كَدّ[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 5.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 342.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 342.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 29.
(5) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 204.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 343.

نكتة وصف الرزق بالكريم:

أنـفَـسُ أنـواعِ الـرّزق وأعظمهُ هـو مـا يناسبُ مـقـامَ أهـلِ ودِّ اللهِ ورسوله

الرِّزقُ الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ هو رزقُ الجنّة، قالَ تَعالَى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البَقَرَة: 25]، وقد وصَفَه الله تعالى بالكريم، فلم يقل: (رزقًا حسنًا)؛ لأنَّه أفضَلُ جنسِه[1]، أي: أنفَسُ أنواعِ الرّزق وأعظمهُ، "إذ كلُّ شيءٍ شَرُفَ في بابه فإنّه يوصفُ بالكرم"[2]، فهو الرّزقُ الذي لا يُخالطُ النّفعَ به ضرٌّ ولا نكدٌ، فهو نفعٌ مَحْضٌ لا كدرَ فيه[3]، وللدّلالة على كرامةِ صاحبه، "فإنّهنّ في منازلِ رسول الله ﷺ، في أعلى علّيّين، فوق منازلِ جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقربُ منازلِ الجنّة إلى العرش"[4]، وفي هذا الوصف كذلك سرٌّ بلاغيٌّ وهو أنَّ الكريمَ لا يكونُ إلا وصفًا للرزاق؛ لأنّ الرّزقَ في الدنيا مقدّرٌ على أيدي النّاس، فالتاجرُ يسترزقُ من السوقة، والصناعُ من المستعملين، والملوكُ من الرّعية، والرّعيةُ منهم، فالرِّزقُ في الدنيا لا يأتي بنفسه، وإنَّما هو مسخّرٌ للغير يمسكُه ويرسلُه إلى الأغيار، وأمّا في الآخرة فلا يكونُ له مُرْسِلٌ ومُمْسكٌ في الظّاهِر، فهو الذي يأتي بنفسه، فلأجلِ هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم إلا الرزاق، وفي الآخرة يوصفُ بالكريم نفْسُ الرّزق[5].

وإذا كان المقصودُ بالرزق هو الكريمُ في الدنيا؛ فلكونه واسعًا حلالًا[6]، أو بكون أمّ المؤمنين مرموقةً بعينِ الغِبْطَةِ لدى نساءِ العالمين، منظورًا إليها نظرةَ المهابة والإجلال[7]، ثم فيها ملحظٌ آخر وهو: إذا كان الرّزق يوصفُ بالكرم، فما بالُ الرازقِ الحقيقي سبحانه[8].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 6.
(2) الراغب، المفردات: (كرم).
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 10/ 89.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 408، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 4.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 167.
(6) الماوردي، النكت والعيون: 4/ 398.
(7) المراغي، تفسير المراغي: 22/ 4.
(8) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 19/ 12017.

توجيه المتشابه اللفظي في ذكر الرزق الكريم مسبوقًا بالمغفرة:

سياقُ المبالغةِ في تكريمهنّ يناسبهُ عدمُ ذكرِ ذنوبٍ لهنّ قد غُفرتْ

سَبقَ ذِكْرَ الرّزقِ الكريمِ الوعدُ بالمغفرة في خمسة مواضع في القرآن الكريم وهي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: 4]، و﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ [الأنفال: 74]، و﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٥٠﴾ [الحج: 50]، و﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٢٦﴾ [النور: 26]، و﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [سبأ: 4]، وأمّا هنا في آية الأحزاب وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ فلم يذكرِ المغفرة؛ وسرُّ ذلك أنّ الآيات السابقة تتحدّثُ عن عموم المؤمنين، ويدخلُ ضمنهنّ أمّهاتُ المؤمنين، أمّا آية الأحزاب فالحديثُ فيها عن أمّهات المؤمنين على وجهِ الخصوص، وما خصّهنّ اللّهُ به من الأجرِ المضاعف والرّزق الكريم؛ في سياق المبالغةِ في التّكريم لهنّ على شدّةِ طاعتهن للّه ولرسوله، وعلى عملهنّ الصّالح، والتمييز لهنّ عن سائرِ المؤمنين، فناسبَ ألا يذكرَ لهنّ ذنوبًا قد غفرها اللّهُ لهنّ؛ زيادةً في رحمتهنّ وتكريمهنّ.

نكتة حذف متعلَّق ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾:

رزقٌ كريمٌ في الدنيا أوسعُ من أنْ تحدّه العبارة

تنوّعتْ أقوالُ المفسِّرين في بيانِ متعلَّقَ ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ على قولين[1]: فبعضُهم قدَّره بـ(في الدنيا)، وبعضهم بـ(في الآخرة)، وقد حذفَه البيانُ القرآنيُّ لإفادة العموم؛ إذ إنّه لو ذَكرَ أحدَهما لاقتصرَ المعنى عليه، ولكن بحذفه فالمعنى يشملُ كلًّا من الرّزق الكريم في الدنيا بكونه واسعًا حلالًا،

(1) الماوردي، النكت والعيون: 4/ 398، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 382.

وفي الآخرة وهو نعيمُ الجنّة، وهذا أنسبُ مع تضعيفِ الأجرِ من المعطي الكريم سبحانه لأشرفِ نساءِ العالمين زوجاتِ النبيّ الكريم صلوات اللّه وسلامه عليه.

فائدة كون الآية جملة خبرية:

الإخبارُ يبعثُ في نفوسِ أمّهات المؤمنين الرضا والطمأنينة بأنّهنّ أشرفُ نساءِ العالمين

الآية الكريمة: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ جملة خبريّة تشيرُ إلى أنّ نساءَ النبيّ أشرفُ نساءِ العالمين[1]؛ لكون اللّه سبحانه عظّمَ طاعاتِ أزواج النبيّ ﷺ، وأوجبَ لها الأجرَ مرّتين، وفي هذا دلالةٌ كذلك على أنّ أجرَ العامل العالم أفضلُ وثوابهُ أعظمُ من العاملِ غيرِ العالم، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ قد دلّ على ذلك[2].

زِدْ على ذلك أنّ الآيةَ تزاحمتْ فيها الكلماتُ الوضيئةُ في سياقِ الوعد؛ ففي القنوتِ شفافيةٌ باصرةٌ وضّاحةٌ، وفي ذكرِ (اللّه ورسوله) سكينةُ القلب، وقرارُ النّفس، ثمّ العملُ الصالح والرّزق الكريم، وكلّها كلماتٌ تبعثُ في نفوسِ نساء النبي ﷺ معاني الرّضا، والطمأنينة، وتملأُ القلبَ شعورًا بالخير والأمل[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القنوت والخشوع والخضوع:

يناسب القنوتُ المداومة على طاعةِ اللّه ورسوله، والعبادة والعمل الصالح

القنوتُ أعمّ دلالةً وأوسعُ معنى من الخشوع والخضوع، فالقنوتُ هو لزومُ الطّاعةِ مع الخضوع، وهو الإخباتُ والاستكانةُ، والعبادةُ والدّعاء[4]، والاسْتِقامَةُ في طَريقِ الدّينِ، ويطلقُ على طولِ القيام في الصَّلاةِ، وعلى السُّكوتِ في الصَّلاةِ والإقْبالِ عَلَيْها[5]، أمّا

(1) صديق خان، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 11/ 80.
(2) الجصاص، أحكام القرآن: 3/ 470.
(3) محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، ص: 271.
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (قَنَتَ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قنت).

الخشوعُ فيدلّ على التّطامن، والإخباتِ والسُّكونِ والتَّذَلُّلِ[1]، ويظهر أثره في القلب والصَّوْتِ والبَصَر وفي الجوارح[2]، ولا يكونُ إلا مع خوفِ الخاشعِ للمخشوعِ له؛ لأنّه يرى فاعلُه أنّ من يخشع له فوقه، وأنّه أعظمُ منه، فلا يكونُ تكلّفًا، فهو انقيادُ الباطن للحقّ[3]، وأمّا الخضوعُ فهو الذلُّ والتّواضع[4]، واللّينُ وانقيادُ الظاهر، ويكون في الصوت والبَدَنِ[5]، ولهذا يجوزُ أنْ يخضعَ الانسانُ تكلّفًا من غير أنْ يعتقدَ أنّ المخضوع له فوقه[6]، واستعمالُ القنوت في الآية أنسبُ؛ لكون السياق في المداومة على طاعةِ اللّه ورسوله، وفي العبادة والعمل الصالح، وليس في التذلّل أو التّواضع أو الخوف.

الإيتاء والإعطاء:

اشتهرَ الإيتاءُ في معنى الإعطاءِ وأصلهُ الإحْضارُ[7]، والإعطاءُ: التناولُ باليد[8]، ويكونُ في الأشياءِ المادّيّة؛ إذ أصلهُ التّناول، وفيه دليلٌ على التّملّك[9]، في حين يكونُ الإيتاءُ في الأشياءِ الماديّة والمعنويّة.

ما وعدَ اللهُ به نساءَ النبيّ من الأجر ذو ثباتٍ وقرارٍ ويشملُ أنْ يكونَ مادّيًّا ومعنويًّا

وقد يكونُ الإيتاءُ واجبًا وقد يكونُ تَفَضُّلًا، بخلافِ الإعْطاءِ فإنَّه لا يكونُ إلّا بمحْضِ التَّفَضّلِ[10]، والإيتاءُ أقوى من الإعطاءِ؛ لأنّ الإعطاءَ له مطاوعٌ، يُقال: أعطاني فعَطَوتُ، ولا يُقال: أتاني فأتيتُ، وإنّما يُقال: أتاني فأخذتُ، والفعلُ الذي له مطاوع أضعفُ في إثباتِ مفعولهِ من الذي لا مطاوعَ له[11]، لذلك استعملَ القرآنُ الإيتاءَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس، والمعجم الوسيط: (خشع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خشع).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 248.
(4) الزبيدي، تاج العروس: (خضع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خشع).
(6) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 249.
(7) الزبيدي، تاج العروس: (أتى).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عطو).
(9) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 86.
(10) الزبيدي، تاج العروس: (عطو).
(11) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 4/ 85.

دون الإعطاء للأشياءِ الكثيرة والعظيمة وفيما له ثباتٌ وقرار، مثل (الملك والرحمة والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم)، بخلاف الإعطاء فإنّه غالبًا يُستعملُ للشيء القليل، وفيما ينْتَقلُ مِنْهُ بعد قَضاء الحاجة مِنْهُ[1]، واستعمالُ الإيتاء في الآية؛ لكونه أنسبَ مع إيتاء الأجر لأمّهات المؤمنين؛ ليشملَ الأجر المادّيَّ والمعنويَّ، الذي وعدهم اللّه به، وهو أجرٌ عظيم ذو ثباتٍ وقرار.

(أعتدنا) و(أعددنا):

لفظ أعتدنا يتناسبُ مع خصوصِ ما أعدّه اللهُ لأمّهاتِ المؤمنين

يدلّ اللَّفظان على معنى التّهيئة، لكنّ لفظ (أعتدنا) أخصُّ من لفظ (أعددنا)؛ إذ فيه معنى التّهيئة مع الحضور والقرب، فأصلُ أعتدنا من (عَتَدَ)، ويدلّ عَلَى حُضورٍ وقُرْبٍ، وتهيئةٍ للشيء[2]، والعَتادُ: الشَّيْءُ الَّذي تُعِدّه لأمرٍ ما وتدّخرهُ له قبل الحاجة إليه وتهيِّئُه لَهُ[3]، أمّا أعددنا فأصله (عدّ) من الإعْدادِ، وهوَ تَهْيِئَةُ الشَّيْءِ[4]، أو أصْلُ أعتدنا، هو أعددنا فأبدل من أحد الدّالَين تاء[5]، كما أنّ لفظ (أعدّ) تعدّدتْ معانيه في القرآن؛ إذ وردَ مع الجنّة والنّار والرّزق والأجر والمغفرة والعُدّة وآلة الحرب، ممّا يشيرُ إلى اتّساع المدى الدّلالي له، بينما كان استعمال (أعتدّ) مقتصرًا في وروده على ثلاثة معاني، فأتى مع العذاب والنّار في أكثر المواضع (12) مرة، ومرّة واحدة مع الرّزق في آية الأحزاب هنا، ومرة واحدة مع المتّكأ في سورة يوسف[6]، ومن هنا كان استعمالُ لفظ (أعتدنا) أنسبَ؛ كونه أخصَّ من (أعددنا)، والآياتُ هنا خاصّة بأمّهات المؤمنين ﷺ؛ فناسبَ أن يكون إعداد الأجر لهنّ له خصوصية، فهو أجرٌ مُهَيَّأٌ لهنّ مع قُربٍ وحضور.

(1) الكفوي، الكليات، ص: 212.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عتد).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات: (عتد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عدّ).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة: (عتد)، والفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 4/ 18.
(6) محمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 336 - 337.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»